العنف الأسري: أنواعه، وأسبابه، ونتائجه، وعلاجه من منظور إسلامي

د. عائشة بنت سلطان المرزوقي*

سلم البحث في ١٤٣٦/١٢/٢٥هـ بسم الله الرحمن الرحيم اعتمد للنشر في ١٤٣٧/١/٢٦هـ

ملخص البحث:

تعد ظاهرة العنف الأسري من الظواهر التي تؤثر على الأسرة وبالتالي المجتمع اقتصاديا واجتماعيا وأخلاقيا وفكريا وأمنيا، لما لها من تداعيات على هذه الجوانب، ولأنها تعد سلوكا غير سوي يمارس على بعض أفراد الأسرة، فيفضي إلى تقويض بنيانها الاجتماعي والاقتصادي والأخلاقي والفكري والأمني، فتتقوض هذه الجوانب من المجتمع، باعتباره مكونا من مجموع الأسر التي تمثله، ولما كانت هذه المشكلة ضاربة بجذورها في عمق التاريخ، ولها هذه التداعيات، كان لابد من بيان أسبابها، والطرق الكفيلة بتجنيب الأسرة والمجتمع تبعاتها، فكان هذا البحث الذي يعرض لهذه الجوانب.

Abstract:

The phenomenon of violence of the phenomena that affect the family and therefore, socially and intellectually, security, economic community, because of its repercussions on these aspects, but it is a behavior that is only practiced some family members, by leading to undermine the social, economic and moral, intellectual and security their structure, Vtaatqod these aspects of society , as a component of the total households represented, and what was the problem with strike.

المقدمة:

تعتبر ظاهرة العنف من الظواهر القديمة في المجتمعات الإنسانية، فهي قديمة قدم الأزل وقد تطورت وتنوعت بأنواع جديدة فأصبح منها العنف السياسي والعنف الديني، والعنف الأسري الذي تنوع وانقسم هو أيضا إلى العنف الأسري ضد المرأة والعنف الأسري ضد الأطفال والعنف الأسري ضد المسنين، كما أن ازدياد انتشاره أصبح أمرا مثيرا للدهشة سواء على مستوى العالم أو على مستوى العالم العربي، والعنف الأسري يعد أحد ملامح العنف الذي يؤثر بشكل كبير على

* عضو هيئة تدريس بقسم الشريعة والدراسات الإسلامية، كلية القانون، جامعة الإمارات العربية المتحدة.

استقرار المجتمع وتكوينه، وذلك لان ظاهرة العنف تعتبر مشكلة اقتصادية لما ينجم عنه من خسائر مادية كبيرة، ويعد أيضاً مشكلة عملية لأنه إذا وجد هذا السلوك العنيف دل على عجز العلم والإنسان عن تقديم فهم واقعي سليم للسلوك الإنساني كذلك يعتبر مشكلة مرضية لأنه يعد عرضا من أعراض المرض الاجتماعي، وهو مشكلة اجتماعية من حيث كونه مظهراً لسلوك منحرف لدى الفرد، ولذا فقد تناولته المجتمعات بالبحث في جميع المجالات وذلك الأمر أوجب تعدد التعريفات فيه.

وظاهرة العنف شأنها شأن غيرها من الظواهر الاجتماعية، التي تحتاج إلى معرفة حجمها الحقيقي والوعي بالعوامل الموضوعية لفهم الظاهرة وتحليله، وكذلك الوعي بنمط الحياة المعيشية حتى يمكن تحليل الظاهرة من سياقها المجتمعي للوقوف على مسار تطورها، والكشف عن أسبابها ليتسنى العمل على الحد من انتشارها.

وتبين الدراسات التي أجريت في الدول العربية على ظاهرة العنف الأسري في مجتمعاتها أن الزوجة هي الضحية الأولى وأن الزوج بالتالي هو المعتدي الأول يأتي بعدها في الترتيب الأبناء والبنات كضحايا أما الأب أو الأخ الأكبر أو للعم بنسبة ٩٩% يكون مصدر العنف الأب، قال تعالى ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (الكهف: ٤٦).

نطاق التفاعل الأسري:

الأسرة هي مصدر الإشباعات التقليدية لأفرادها، فهي التي تقدم لهم الحب والاحترام والأمن والحماية النفسية والجسدية، وتعتبر الأسرة مجالا للتناقض، فرغم أنها محيط للعواطف المتبادلة، وميثاق للوئام، غلا أنها كذلك في كثير من الأحيان مركز للعنف فهي المكان الوحيد الذي يكشف فيه كل شخص عن وجهه الحقيقي، دون تمييز، والعنف في هذا المحيط يعتبر قوياً، أقوى من أي محيط آخر.

مفهوم العنف:

العنف: هو القوة الجسدية التي تستخدم للإيذاء أو للإضرار بالأشخاص، وتشير أيضا إلى معاني الشدة والقسوة والتوبيخ واللوم، وعلى هذا الأساس فإن العنف قد يكون سلوكاً فعليا أو قوليا.

ومن وجهة نظر علماء الاجتماع: العنف هو الاستخدام الإنساني للقوة،

بغرض إرغام الغير وإخافته وإرعابه، أو الموجه إلى الأشياء بتدميرها أو إفسادها أو الاستيلاء عليها، فالعنف واحد من تلك الكلمات التي يعرفها كل شخص منا، ويمكن تعريفها بأنها: القوة التي تهاجم مباشرة أشخاصا (أفراداً أو جماعات)، بقصد السيطرة عليهم بواسطة الموت والتدمير والإخضاع أو الهزيمة، وهو فعل عدواني يقوم به البعض، بهدف إلحاق الضرر الجسماني بغيرهم من الأفراد، ومن أمثلة هذا الفعل العدواني الضرب، أو الصفع على الوجه، أو الركل بالقدم، بالإضافة إلى قيام الشباب بتخريب أو تحطيم الممتلكات العامة أو الخاصة.

وقد أصبحت الأسرة من أكبر مؤسسات العنف في المجتمع، مما يتفق مع مقولة إحصائيات القتل، (ففي استراليا تشير إلى أن ٤٢% من جرائم القتل التي ارتكبت ما بين أعوام ١٩٦٨-١٩٨١ كان منفذوها وضحاياها من بين أفراد الأسرة)، وقد أظهرت النتائج أن ممارسة العنف اللفظي في المشاجرات لا تتعدى ١٤,٨%، ويرجع ارتباط الانحرافات النفسية عند الأولاد، إلى أن عدم سعادة الزوجين بحياتهم معاً، يجعل المناخ الاجتماعي والنفسي في الأسرة نكداً، لا يشعر الأطفال فيه بالأمن والطمأنينة، ويعرضهم لخبرات مؤلمة، تنمي عندهم الاستعداد للانحراف وهم صغار.

أسباب العنف الأسري[1]:

المعروف أن الأسرة السليمة هي الأساس لمجتمع سليم، وتعرض الأسرة لأي شكل من أشكال العنف الأسري، يؤدي بالضرورة إلى خطر يحيط بالأسرة، وكونها المحيط التربوي الأساسي للطفل، فإن العنف الأسري في حد ذاته عبارة تحتوي قدراً كبيراً من التناقض، فالمفروض أن العلاقات في الأسرة تقوم على الاحترام والمودة، لا على العنف والاضطهاد، وأسباب العنف الأسري كما فسرها علماء الاجتماع هي:

١- **أسباب اجتماعية:** غياب معايير عامة للسلوك في مجالات الحياة المختلفة، وانخفاض قيمة احترام الآخر، والتنشئة الاجتماعية، مثل: استخدام العقاب البدني تجاه الأولاد، والتسلط الأبوي داخل الأسرة.

٢- **أسباب اقتصادية:** لعل من أهمها: انتشار البطالة، وخاصة بين الشباب، وبين المتعلمين، وانخفاض مستوى المعيشة، وشيوع ظاهرة الحقد الاجتماعي لتفاوت

الدخل.

٣- **أسباب إعلامية:** ومنها: مشاهدة العنف التي قد تنشط الأفكار المرتبطة به، وتقليد ما تعرضه وسائل الإعلام المختلفة من سلوك العنف.

٤- **أسباب نفسية:** العنف وسيلة لإثبات الرجولة لدى الشباب، والتوتر الذي ينتج عن وجود بعض الحاجات غير المشبعة، والضغوط النفسية الناتجة عن مشكلات أسرية.

٥- **أسباب قانونية وأمنية:** وتتضمن: عدم احترام القانون، وغياب الأمن من المناطق العشوائية، وعدم العدالة في توزيع الثروة العامة.

ومن أسباب العنف أيضا: شيوع الفساد في المجتمع، وعدم تقبل الحوار، وإحساس الأفراد بإمكانية الوصول بغير مقومات، وتولي المناصب دون عناء، وكشفت النتائج عن أن نسبة ضئيلة من مرتكبي جرائم العنف تتناول المواد المخدرة بمعدل مكثف، وأن نسبة أكبر منهم –وإن كانت قليلة أيضا– تتناول المسكرات، ومن المفترض أن يساهم تناول المواد المخدرة شكل غير مباشر في نشوب العنف، وقد أكد أحد الأطباء عن وجود ارتباط بين تناول المخدرات والعنف والجريمة، وتشير الأبحاث إلى أن من بين كل أربعه جرائم قتل، تتم واحدة منها والمجرم تحت تأثير مخدر، كما أن نسبة إدمان الخمر لدى نزلاء السجون تتراوح ما بين ٤٠-٥٥%، وأن الخمول والمخدرات تزيل الضوابط وتضعف الوعي، فتطلق سراح المشاعر العدوانية الكامنة في الإنسان، فيعتدي على غيره ويرتكب الجرائم.

قصة حزينة:

تحكي عن امرأة حاولت الحصول على تصريح حماية من محكمة، وطلبت أن يكون أطفالها مشمولين فيه حتى لا يتمكن زوجها من ضربهم. ففتحت المحكمة تحقيقاً لترى ما إذا كانت المرأة فشلت في حماية أطفالها. وتقرر بأنها لم تفشل في ذلك. ولكن المحكمة بحكمتها أخذت أطفالها منها حتى حينما بحثت عن حماية لهم.

أنواع العنف الأسري:

- **الاعتداء على الأطفال[٢]:**

يعد الاعتداء على الأطفال وإهمالهم مشكلة خطيرة، (ويقدر الخبراء أن نسبة من مليونين إلى أربعة ملايين طفل، يتعرضون للاعتداء كل سنة، كما ينقل

آلاف الأطفال، كل سنة عن أسرهم التي ولدوا فيها، ليعيشوا في بيوت الرعاية)، إن المعاناة الناتجة عن العنف الأسري الواقع على الأطفال مضاعفة، فبالإضافة إلى معاناة الأطفال أنفسهم بسبب الاعتداء والإهمال، هناك الكثير من الآفات الاجتماعية التي تنتج عن الاعتداء. فأغلبية السجناء البالغين، والأشخاص الذين يمارسون العنف أو يعتدون جنسياً على الأطفال، هم ممن تعرضوا للاعتداء والإهمال في طفولتهم. وهكذا، فللاعتداء على الأطفال نتائج سيئة على المستويين الشخصي والاجتماعي، ومن الواضح أنه لدينا عددا كبيرا من الأسر التي تعاني الكثير من العنف، وفوق ذلك، فإن معظمه يتسبب فيه شخص واحد، مما يعني أنه حيثما نجد ضحية اعتداء فلابد أن هناك ضحية واحدة أخرى في الأقل. وغالباً ما يقف شخص واحد وراء كل ذلك. (وهذا العنف سواء كان فرديا أو جماعياً له وجهان محددان، اتفق علماء النفس والاجتماع وغيرهم العاملون مع الأطفال، على حصره في العنف الجسدي والنفسي، باعتبار أن هناك أساليب متنوعة وأشكال متعددة للعنف، إلا أن الهدف منها هو تدمير الجسد أو النفس أو كلاهما معاً على النحو التالي:

أولاً: العنف الجسدي: وهو مباشر مثل:

١- الضرب: على الرأس والوجه واليدين شد الشعر شد الأذنين الركل، الحروق.إلخ.

٢- الحرمان من الأكل والطعام أو الإقلال منه، والحرمان من قضاء الحاجة.

٣- التحرش الجنسي أو الاعتداء الجنسي.

٤- تشغيل الأطفال بالأعمال الشاقة، التي تفوق قدراتهم الجسدية والنفسية تحملها.

ثانياً: العنف النفسي: وهو إما مباشر أو غير مباشر، مثل[٣]:

١-التهديد، الوعيد، الإذلال، الشتم، الإهانة عن طريق الألقاب والكلمات الشنيعة، التحقير، الحرمان، الإهمال.

٢-التحرش الجنسي، وهذا ما يؤدي إلى تدمير الشعور بالكرامة الذاتية، ويدفع إلى تنمية الشعور بالذل والعار.

وفي دراسة للمجتمع المصري عن العنف الأسري أشير فيها إلى أن٥٢,٣٨%

من أفراد العينة الكلية، أن العنف الأسري أصبح يمثل ظاهرة منتشرة في المجتمع

المصري.

الاعتداء على المسنين(٤):

كلما كنت أكثر عرضة للمرض وضعيفاً في هذا المجتمع، ازداد احتمال تحولك لضحية. الاعتداء على المسنين هو من أكثر الجرائم خفاءً، أضعفك المرض والعمر، فلا يمكنك الاعتماد على نفسك. إذا كان من يعتدون عليك هم من يعتنون بك. فماذا بوسعك أن تفعل حيال ذلك ؟، تبين الدراسات أن أكثر المعتدين على المسنين هم أولادهم البالغون. من الصعب إحصاء أو مساعدة ضحايا الاعتداء على المسنين. فبعكس ضحايا الاعتداء على الأطفال. الذين عليهم الذهاب إلى المدرسة. يمكن للضحايا المسنين أن يكونوا في عزلة تامة عن العالم الخارجي. ويمكن للضحية أن تكون سجينة بيتها إن كانت ضعيفة أو معاقة. وبالإضافة إلى الاعتداء الجسدي والعاطفي. يتعرض المسنون للاعتداء الاقتصادي، فكثيرا ما يستولي المعتدي على ما يحصل المسن من مال من التأمينات الاجتماعية أو التقاعد. ولا يتوقف الأمر على ذلك، فكثيراً ما يتعرض المسنون لاعتداء الذين يقومون برعايتهم مثل: الممرضين وغيرهم. إن تقديرات الاعتداء على المسنين هزيلة وغامضة، لكنها مرعبة، وسنكون جميعاً في تلك الحالة عاجلاً أم آجلاً.

العنف الجسدي لكبار السن:

يتم تحديده من خلال استعمال القوة الجسدية في التعامل غير الإنساني مع كبار السن، مما يتسبب لهم في إصابات جسدية أو ألم جسدي أو إنهاك، ويتضمن العنف الجسدي: الضرب أو الدفع أو الصفع أو الرفس أو الحرق، بالإضافة إلى استخدام المخدرات والقيود الجسدية، والإجبار على الطعام. وعلامات وأعراض سوء المعاملة (العنف الجسدي) كالكدمات وتورم العيون والندوب، وعلامات أخر في الجسد من آثار استخدام الحبال، وكسور في العظام، وأحيانا في الجمجمة، وقيام القائمين بالرعاية بعدم السماح للزوار بأن يشاهدوا كبير السن على انفراد. ويتضمن العنف الجسدي منع الطعام أو عدم العناية الشخصية بكبار السن، وعدم الاهتمام بالنظافة الخاصة، وفي كل الأحوال عدم الاهتمام بالرعاية الصحية للمرضى من كبار السن.

العنف العاطفي والنفسي:

يمكن تعريف سوء المعاملة أو العنف العاطفي أو النفسي، ما يتعرض له

كبار السن من محن العذاب والألم والضيق من خلال التوبيخ الشفهي أو غير الشفهي من جانب الآخرين تجاههم، ويحتوي العنف العاطفي والنفسي على الإهانات اللفظية والتهديدات والترويع أو التحرش، بالإضافة إلى المعاملة السيئة لكبار السن من جانب الأطفال والمراهقين، أو عزل كبير السن من التعامل مع عائلته أو الأصدقاء أو عدم السماح له بممارسة أنشطة منتظمة، والتعامل معه من خلال إهماله أو باعتباره غير موجود، أو ما يمكن تسميته بالمعاملة الصامتة، أي عدم الحديث معه. مما يؤدي إلى علامات ومؤشرات نفسية لدى كبار السن، كالحياة العاطفية المزعجة والخاوية من المشعر، والانطواء وعدم التجاوب، ومن ثم ينعكس لديهم سلوك أفعال سلوكية غير سوية، قد يتم النظر إليها من قبل الآخرين باعتبارها جنوناً ويتضمن العنف النفسي انعدام المحبة لكبار السن والملل من التعامل معهم، وعدم مساعدتهم على المشاركة في اتخاذ القرارات الهامة بحياتهم الخاصة.

الاعتداء على المرأة(٥):

سلوك أو فعل موجه إلى المرأة يقوم على القوة والشدة والإكراه، ويتسم بدرجات متفاوتة من التمييز والاضطهاد والقهر والعدوانية، ناجم عن علاقات القوة غير المتكافئة بين الرجل والمرأة في المجتمع والأسرة على السواء، والذي يتخذ أشكالا نفسية وجسدية متنوعة في الأضرار.

ومن التعريف نفهم أن العنف هو: أي فعل مقصود أو غير مقصود، يسبب معاناة نفسية أو جسدية أو جنسية للمرأة، فالعدوان عنف الإهانة، وكل ما يخلق لها معاناة من قهر وخوف وتهديد هو عنف. فكل فعل يمارس من قبل الرجال أو العائلة أو المجتمع ابتداء، من الشتم والتحرش الجنسي واستخدام القسوة ضدها والانتقاص من قيمتها كانسان، وإجبارها على فعل ما لا تريد، وحرمانها من حقوقها، وانتهاء بالاغتصاب أو القتل هو عنف ضد المرأة، وعندما يقتل الرجل زوجته وصديقته، توصف جريمته في أوراق التحقيق الرسمية، أنها جريمة تحت تأثير الانفعال، ارتكبها تحت تأثير مشاعر غامرة، جعلته لا يعرف ما الذي يفعله، وهذه هي النظرية المفضلة لدى وسائل الإعلام، فهي مثيرة وتلائم النظر غير الواقعي للحياة.

- رجل يقتل زوجته الناشز ثم يقتل نفسه.

– رجل يدفعه فقدان حق حضانة أطفاله إلى هياج، فيقتل زوجته السابقة حالة غضبه.

– تقع حوالي ٨٠% من الإصابات البليغة أو الموت، عندما تحاول المرأة ضحية الاعتداء أن تغادر، أو بعد مغادرتها.

العنف الأسري يؤدي إلى خلل جيني:

اكتشف العلماء خللا في المجموع الوراثي للأطفال الذين تعرضوا لعنف أسري، وأن هذا الخلل يمكن أن يؤثر سلباً عليهم مستقبلاً. وأشار العلماء إلى أن هذه العواقب السلبية تكون أسوأ لدى الأطفال الذين عانوا من أشكا مختلفة من العنف، حيث تتضرر لديهم طبقة التيلوميرز التي تحمي الحمض النووي للخلية، مثل الطبقة البلاستيكية، وأن هذه الطبقة هي نهايات الصبغيات الوراثية، وأن تقلصها يعرض صاحبها لمخاطر صحية عالية، مثل: الإصابة بأمراض مزمنة، وسرطانات)

نتائج العنف الأسري:

إن من أهم النتائج المدمرة لتبني العنف ضد المرأة، ما يأتي:

– تدمير آدمية المرأة وإنسانيتها.

– فقدان الثقة بالنفس والقدرات الذاتية للمرأة كإنسانة.

– عدم الشعور بالأمان اللازم للحياة والإبداع.

– عدم القدرة على تربية الأطفال وتنشئتهم بشكل تربوي سليم.

– التدهور الصحي الذي قد يصل إلى حد الإعاقة الدائمة.

– بغض الرجل من قبل المرأة مما يولد تأزماً في بناء الحياة الواجب نهوضها على تعاونهما المشترك.

– كره الزواج وفشل المؤسسة الزوجية بالطبع من خلال تفشي حالات الطلاق والتفكك الأسري، وهذا مما ينعكس سلبياً.

– ٤١% من الرجال الذين يضربون زوجاتهم كانوا يضربون أطفالهم أيضا، وأن دفاع المرأة عن أطفالها كان السبب الذي ذكرته معظم النساء لتركهن منازلهن.

نتائج العنف على الأطفال:

– التدهور الصحي للطفل.

- الحرمان من النوم وفقدان التركيز.
- الخوف، الغضب، عدم الثقة بالنفس، القلق.
- عدم احترام الذات.
- فقدان الإحساس بالطفولة.
- الاكتئاب، الإحباط، العزلة، فقدان الأصدقاء، ضعف الاتصال الحميمي بالأسرة.
- آثار سلوكية مدمرة من قبيل استسهال العدوان وتبني العنف ضد الآخر، تقبل الإساءة في المدرسة أو الشارع، بناء شخصية مهزوزة في التعامل مع الآخرين، التغيب عن المدرسة، نمو قابلية الانحراف.
- المنع الشديد لكل شيء.
- ٧٠% من الاعتداءات على الأطفال يرتكبها رجل البيت.
- ٧٠% من النساء اللاتي تعرضن للاعتداء يعلن أن المعتدي اعتدي على أطفالهن أيضاً.

ثقافات خاطئة: من الثقافات الخاطئة أن الإنسان يكون أسيرا للرأي العام حوله، ومنها: اعتقاد بعض الآباء أن الغلظة هي الرجولة والقوامة، وأن رجولته تسقط منه إذا ظل تحت سيطرة زوجته وأبنائه.

نصيحة:

- لا ريب أن ولدك أولى بك من الغير، ولن يكون الناس يوماً حكماً عليك بين يدي ربك.
- تربية الأولاد تربية حقه في كل شؤونهم على أن ينهلوا من القرآن الكريم والأحاديث النبوية.

الاعتدال(٦):

- ينبغي أن تكون ثقافة تربية المرء لأولاده معتدلة، فينظر لابنه أو ابنته ما يؤمل، فإن رأي إقبالا على الخير شجعه وكافأه وأعانه على الطريق الذي يسير فيه.
- ولا يكلفه ما لا يطيق حتى تستريح نفسه.

قصة قصيرة:

كان زوجي يضربني بعد أن عاد مخموراً مساء يوم الجمعة، فاتصل طفلي

البالغ من العمر ٨ سنوات بالشرطة، عندما وصلوا إلى الشقة، نصف ساعة بعد الاتصال، كان زوجي يغط في نوم عميق على الأريكة بعد أن ضربني وكسر أنفي، ألقى رجال الشرطة نظرة عليه ثم قالوا: (اعتقد انك ستكونين في مأمن منه طوال هذه الليلة، ثم غادروا حتى دون أن يعرضوا على نقلي إلى المستشفى)

الحلول[٧]:

١-الوعظ والإرشاد الديني مهم لحماية المجتمع من مشاكل العنف الأسري إذ أن تعاليم الدين الإسلامي توضح أهمية التراحم والترابط الأسري.

٢-تقديم استشارات نفسية واجتماعية وأسرية للأفراد الذين ينتمون إلى الأسر ينتشر فيها العنف.

٣-وجوب تدخل الدولة في أمر نزع الولاية من الشخص المكلف بها في الأسرة، إذا ثبت عدم كفاءته، وإعطائها إلى قريب آخر، مع إلزامه بدفع النفقة، وإذا تعذر ذلك أمكن إيجاد الأسر البديلة التي تتولى رعاية الأطفال الذين هم ضحايا العنف الأسري.

٤-إيجاد صلة بين الضحايا وبين الجهات الاستشارية متاحة وذلك عن طريق إيجاد خطوط ساخنة لهذه الجهات يمكنها تقديم الاستشارات والمساعدة إذا لزم الأمر.

٥- نشر الوعي الأسري بأهمية التوافق والتفاهم بين الوالدين وأهمية دورها في قيادة الأسرة وسلامتها كذلك بأهمية استخدام أساليب التنشئة الاجتماعية السليمة ومضامينها المناسبة في نمو الأطفال نمواً سليماً من جوانب شخصياتهم النفسية والاجتماعية، وضرورة تناسب تلك الأساليب مع خصائص مرحلة الطفولة المتتابعة.

٦- توجيه طرائق التدريس في المدارس بمختلف مستوياتها بشكل يساعد على تكوين التفكير العلمي لدى التلاميذ وتدريبهم على الاستدلال الجماعي السليم.

٧- تحسين الظروف المعيشية لكافة الأسر وتوفير فرص عمل مناسبة لجميع القادرين عليه وتوسيع نطاق الخدمات المقدمة للأسر وضمان صحي للكبار وسكن مناسب وذلك لتفادي لوقوع أي نوع من المشكلات الأسرية وحتى تتمكن الآسر من التكييف مع المتغيرات التي تطرأ بفعل الزمن.

٨- الاستعانة بوسائل الأعلام وقادة الرأي العام والمنظمات الشعبية لتحقيق

ديمقراطية الأسرة وتوزيع السلطة لمحاولة تغير المفاهيم التقليدية كالسيطرة والطاعة العمياء وتوضيح آثارها السلبية إلى جانب الآثار الضارة المترتبة على الإهمال والتراخي.

دور الشريعة الإسلامية في منع العنف الأسري:

نظمت الشريعة الإسلامية جميع العلائق، سواء في داخل الأسرة أو خارجها، بما يجتث جذور العنف من الأسرة والمجتمع، ومن مظاهر ذلك ما يلي:

١- أوجبت على الوالدين رعاية أولادهما، فقد روى ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته"(٨)، وهذه الرعوية توجد على كل من الوالدين تعهد أولادهما بالرعاية والعناية والتربية القويمة، غير القائمة على العنف أو استعمال القوة في ذلك.

٢- جعلت للأولاد حقوقا على الوالدين قبل ولادتهم، ومنها: اختيار الأم الصالحة، المتدينة، ذات النسب الطيب، التي تغرس في أولاده حبَّ الفضائل والخير والاستقامة؛ لأن صلاحها صلاح لأولادها، ولهذا رُوِي عن النبي ﷺ أنه قال: " تَخَيَّروا لنُطَفِكم فإن العِرْق دسَّاس"(٩)، ومنها: اختيار الاسم الحسن له، الذي لا يكره ولدُه أن يُنادَى به، فقد رُوِي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "حق الولد على والده أن يُحسن اسمه، ويُزَوِّجه إذا أدرك، ويُعَلِّمه الكتابة"(١٠)، والتفكير في الاسم الحسن لا بد وأن يسبق ولادته، كما أوجبت الشريعة على الوالد الإنفاق على زوجته الحامل، بما يحقق للجنين بيئة صالحة لنموه النمو الطبيعي خلال مدة حمله إلى الولادة، قال تعالى: ﴿وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف﴾(١١)، وهذا يقتضي إنفاقه على زوجته خلال مدة حملها، وعند الولادة وبعدها، حتى لقد أوجب على الزوج أن يدفع أجرة إرضاع الصغير لزوجته إن أرضعته، قال تعالى: ﴿فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن﴾(١٢).

٣- كما جعلت للأولاد حقوقا على الوالدين بعد ولادتهم، ومنها: تعليمهم، وتربيتهم التربية القويمة، ورعايتهم اجتماعية وخلقيا وسلوكيا، ومما يدل لهذا: ما روته

عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: حق الولد على والده أن يُحسن اسمه ويحسن موضعه ويحسن أدبه"[١٣]، ومن الأمر بتربية الولد تربية قويمة، قوله ﷺ: "ما نحل والد ولد أفضل من أدب حسن"[١٤]، ومن أسس التربية القويمة: تعليم الأولاد كيفية أداء العبادات المختلفة، ومراعاة التفريق بين الذكور والإناث، بل بين الذكور بعضهم البعض في المضاجع، صيانة لهم، وحماية لهم من الوقوع فيما لا يحمد، فقد روى عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال:" مُروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفَرِّقُوا بينهم في المضاجع" [١٥].

٤- وأوجبت على الوالدين تعليم أولادهما هوايةً حسنة تفيدهم في دنياهم ويُثابون عليها إذا تلهَّى بها في أخراهم، كالرماية بالأسلحة المختَلِفة، والسباحة، والغطس، والطيران، والهبوط منه، والفروسية، واختراع ما يفيد الناس وينفعهم، أو الابتكار فيه، ونحو ذلك؛ لما رُوِيَ عن أبي رافع قال: قلت: يا رسول الله أَلِلْوَلد علينا حق كحقنا عليهم؟ قال: نعم، حق الولد على الوالد أن يُعَلِّمَه الكتابة والسباحة والرمي، وأن يورثه طيبًا"[١٦].

٥- أن يساعد الوالدان أولادهما على اختيار القدوة الحسنة لهم، بما يترسَّمون نَهْجَه، ويتخلَّقون بأخلاقه، ويتَأَسَّون بسيرته، فقد حضَّ الحق سبحانه المسلمين على التأسِّي برسول الله ﷺ، فقال تعالى: ﴿لقدْ كانَ لكم في رسولِ الله أسوةٌ حسنةٌ لمَن كانَ يرجُو اللهَ واليومَ الآخِرَ وذكرَ الله كثيرًا﴾[١٧]، وحض رسول الله ﷺ على التأسي بأصحابه، فقال: "أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم"[١٨]، وأمر الله تعالى المسلمين بالتأسي بإبراهيم ومن آمن به، فقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾[١٩].

٦- أوجبت الشريعة على الوالدين الرحمة بأولادهما، ففي الحديث: "الراحمون يرحمهم الله"[٢٠]، وجاء :"من لا يرحم لا يرحم"[٢١]، كما أوجبت أن يكون الأولاد بارين بأبويهما، قال تعالى:﴿وبالوالدين إحسانا﴾[٢٢]، وقال سبحانه:﴿وصاحبهما في الدنيا معروفا﴾[٢٣]، ونهت الشريعة الوالدين عن قتل أولادهما أو إيذائهم، إذ قال الحق سبحانه:﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾[٢٤]

٧- وأوجبت على الوالدين التسوية بين أولادهما في الهبات والعطايا، دون تفريق بينهم، فقد روى النعمان بن بشير قال:" تصدَّق عليَّ أبي ببعض ماله، فقالت أمي: لا أرضى حتى تُشهد عليها رسول الله ﷺ فجاء أبي إلى رسول ﷺ ليُشهِدَه على الصدقة، فقال: أكلَّ ولدك أعطيتَ مثلَه؟ قال: لا، قال: فاتقوا اللهَ واعدلوا بين أولادِكم"، وفي رواية:" أتُحِبُّ أن يكونوا لك في البر سواءً، قال: نعم، قال فسوِّ بينهم"(٢٥).

وهذا وغيره من شأن مراعاته والالتزام به، أن ينزع العنف من نفوس الوالدين وأولادهما، ويقي الأولاد من التعرض لوجوه العنف من داخل ألأسرة وخارجها.

الخاتمة:

تناولت في بحثي مفهوم العنف الأسري، وأسبابه، وأنواعه، كالاعتداء على الأطفال والنساء والمسنين، والأساليب الذي يتبعها المعتدي، وطريقة علاج هذه الظاهرة، والخلاصة من البحث أننا عندما أن نربي ونثقف كلا من الولد والبنت نربيهما على أساس أن كلا من الرجل والمرأة يكمل أحدهما الآخر.

فأنوثة المرأة إنما هي بعاطفتها، وحنانها، ورقتها، كما أن الرجولة الرجل إنما هي بإرادته، وصلابته، وقدرته على مواجهة الأحداث، فالرجل يعاني من نقص في العاطفة، والحنان، والرقة، والمرأة –التي تمتلك فائضاً من ذلك– هي التي تمنحه العاطفة، والحنان، والرقة. ولهذا كانت الزوجة سكناً للرجل، والمرأة تعاني من نقص في الإرادة، والحزم، والصلابة، والرجل –الذي يمتلك فائضاً من ذلك– هو الذي يمنحها الإرادة، والحزم، والصلابة. ولهذا كان الزوج قيماً على الزوجة كما يقول تبارك وتعالى : ﴿الرجال قوامون على النساء﴾ (٢٦).

تم بحمد الله تعالى، وآمل أن أكون قد وفقت في تغطية أغلب جوانب الموضوع، وما قدمت هو جهد المقل، وأتمنى أن ينال البحث إعجاب من يطلع عليه، وأن يجد فيه بغيته، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

هوامش البحث:

(١) العنف الأسري، دراسات في الأسباب والنتائج، ٢٠٠٥، ص٨٩.

(٢) محمود سعيد، العنف العائلي في مواقف الحياة اليومية، ٢٠٠٦، ص٤٤.

(٣) العنف الأسري، دراسات في الأسباب والنتائج، ٢٠٠٥، ص٧٦.
(٤) اليسا دلتافو، العنف العائلي، ١٩٩٩، ص٦٣.
(٥) د. رجاء مكي، إشكالية العنف، ٢٠٠٨، ص١١٠.
(٦) اليسا دلتافو، العنف العائلي، ١٩٩٩، ص٧٧-١٠٠.
(٧) محمد علي عمارة، برامج علاجية لخفض مستوى السلوك العدواني لدى المراهقين، ٢٠٠٨.
(٨) أخرجه مسلم في صحيحه ١٤٥٩/٣، برقم (١٨٢٩)
(٩) رواه ابن ماجه والحاكم. (الفتح الكبير ٣٦/٢) كشف الخفايا ٣٢٠/١).
(١٠) رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة، والديلمي في مسند الفروس، (فيض القدير ٣٩٤/٣).
(١١) من الآية ٢٣٣ من سورة البقرة.
(١٢) من الآية ٦ من سورة الطلاق.
(١٣) رواه البزار. مجمع الزوائد ٤٧/٨.
(١٤) رواه الترمذي والحاكم عن عمرو بن سعيد (فيض القدير (٥٠٣/٥).
(١٥) رواه أبو داود (١١٥/١) والترمذي (١٨٠/٢، ١٨٧) والحاكم (الفتح الكبير ١٣٥/٣).
(١٦) أخرجه البيهقي في سننه ١٥/١٠.
(١٧) من الآية ٢١ من سورة الأحزاب.
(١٨) رواه عبد بن حميد. (خلاصة البدر المنير ٤٣١/٢).
(١٩) الآية ٤ من سورة الممتحنة.
(٢٠) أخرجه الحاكم في المستدرك وصحح إسناده. (المستدرك ١٧٥/٤).
(٢١) أخرجه مسلم في صحيحه ١٨٠٨/٤.
(٢٢) من الآية ٣٦ من سورة النساء.
(٢٣) من الآية ١٥ من سورة لقمان.
(٢٤) من الآية ٣١ من سورة الإسراء.
(٢٥) رواه البخاري ومسلم (صحيح البخاري ٩١٣/٢، صحيح مسلم ٦٥/١١).
(٢٦) من الآية ٣٤ من سورة النساء.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- العنف الأسري، دراسات في الأسباب والنتائج، ٢٠٠٥.
- محمود سعيد، العنف العائلي في مواقف الحياة اليومية ، ٢٠٠٦.
- محمد علي عمارة، برامج علاجية لخفض مستوى السلوك العدواني لدى المراهقين، ٢٠٠٨ .
- اليسا دلتافو، العنف العائلي، ١٩٩٩.
- رجاء مكي، إشكالية العنف، ٢٠٠٨